تنبيه السّامعين

على احتساب صيام رمضان وغيره من الأعمال

عند رب العالمين

محاضرة للعلامة المحدث الناصح الأمين

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

فرغها:

أبو سُليم عبد الله بن علي الحجري الزّبيري الصومالي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ – ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثتها وكل محدثة بدعة كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الناس إن من دواعي الفرح والسرور ومن مبشرات ما يرجى خيره في دار القرار لهو هذا الشهر المبارك الذي يقدم عليه المسلمون، شهرٌ عظيم شهرٌ كريم يقول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣]

فتفضل الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه على هذه الأمة واختصها به لتقوية تقوى الله عزّ وجلّ والازدياد الإيمان بطاعة الرحمن، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا شهرٌ عظيم الطاعات فيه كثيرة والمعاصي فيه قليلة والشيطين فيه مصفده والجنّة أبوابها مفتحة والنيران أبوابها مغلقة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه قال "إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين" وهذا مما يدل على فضل هذا الشهر الكريم وبركته، ومما يدل على تقوية الإيمان فيه وازدياده عند المسلمين وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عزّ وجلّ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" "الصوم جنة" أي وقاية من عذاب الله، ووقاية لمن قام به قياماً صحيحاً من الذنوب "الصوم جنة" جاء مبيناً في الحديث الآخر "كجنة أحدكم في القتال" فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفخس ولا يسخط فإن سابه أحد وشتمه فاليقل إني صائم" قال عليه الصلاة والسلام " للصائم فرحتنا فرحت عند فطره" وهذا يشمل فطره من صومه ليومه، فإنه يكون متشوقاً للطعام والشراب ومبتغياً له وفرحاً بطاعته في الله وبما يسره الله عزّ وجلّ له من إقامة هذا الواجب أو المندوب إذا كان غير رمضان مما ليس قضاءاً له، وشأن الطاعات تبعث السرور في النفوس قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران : ٥٨] وقال الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨]

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر : ٢٢] هذه الأدلة كلها تدل على فضيلة عمل الصالح والطاعات وأنها تبعث انشراحاً في الصدر

وسروراً وطمأنينة، فالمفطر من صومه يشعر براحة وفرحة عند فطره، والفرحة الثانية عند فطره من الشهر كاملاً إذا صامه وقامه يشعر بفرحة لأداء هذا الفريضة العظيمة وانشراح للصدر وطمأنينة واندفاع للخير وبعد عن الشر وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى.

"للصائِم فَرحَتان" هذه الفرحة المذكورة التي هي بنسبة بما بعدها مصغرة والفرحة العظمى عند لقاء ربه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ — ٢٤] أي بما أمضيتم فإن السالف هو الماضي، { بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} التي خلت وانقرضت ومضت وقدمت فيها هذا العمل الصالح، فإن أصحاب الصيام لهم باب الريان كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم "باب يقال له ريان يدخله الصائمون لا يدخله إلا هم فإذا دخلوا اغلق" وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُدعى أناس يوم القيامة من أباب الجنة فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَي مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"

والمسلم المستقيم، المقيم لدين الله عزّ وجلّ وشرعه على خير كثير جدير به أن يدعى تلك الأبواب ولله الحمد والمنة والفضل، وليس لأحد من ضرورة في ذلك فهو في صلاته مؤد لها لواجباتها ونوافلها وفي صيامه مؤدٍ له لواجبته ونوافله وفي صدقته مؤدٍ لها لواجباتها ونوافلها وفي

جهاده في الله عزّ وجلّ بلسانه وقلمه وماله وسائر ما يستطيع لا يألوا جهداً في الوصول إلى الخير، فمثل هذا ليس هناك من ضرورة أن يدعى من تلك الأبواب كلها.

هذا الشهر عباد الله مكفر ممن مكفرات الذنوب والناس تعتريهم الذنوب كثيراً كما أبان ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعند الإمام المسلم عن أبي ذر جند بن جنادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما يروي عن رب العزّة عزّ وجلّ قال سبحانه " يا عباد إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرون أغفر لكم" وشاهدنا من الحديث "إنكم تخطؤون بالليل والنهار" فبنوا آدم يغتفرون الذنوب إلا من عصم الله ليل نهار حتى وإن تحرز منها قد لا يسلم منها قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "والله لو لم تذنوب لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم" في الباب حديث "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" الحديث فهذا الفظ المذكور ضعيف إنما ذكرناه بعتبار ما تقدم ذكره أن الإنسان يغترف على نفسه الذنوب كثيرة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكان من رحمة الله سبحانه وتعالى بالعباد أن جعل لهم لهذه الذنوب مكفرات كثيرة عظيمة، أعظمها توحيد الله عزّ وجلّ ومن تلك المكفرات صيام رمضان في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صل الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" ويا سبحان الله، عمل يسير وأجر كبير وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيح عن أبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «مَنْ صَامَ رَمَضانَ وَسِتاً مِنْ شَوَّال كَانَ كَصِيامِ الدَهرِ» لأن الحسنة بعشر أمثالها، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ

فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ذكر أهل العلم أن وعد الله محقق أن الحسنة بعشر أمثالها لكل عامل حسنة ويزيد الله عزّ وجلّ لمن يشاء قال عليه الصلاة والسلام قال عزّ وجلّ: " من جاء حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها والله يضاعف لمن يشاء" ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ [البقرة : ٢٦١] فالزيادة على عشر تحت مشيئة الله يضاعف الله عزّ وجلّ لمن يشاء لهذا ما لا يضاعف لهذا لما يعلمهم من صلاحهم ونواياهم الطيبة وإخلاصهم ومقاصدهم والعشر محققة، هذا الشهر بعشر أشهر من صامه كأنما صام عشر شهور يتبعه ستاً من شوال ست أيام الحسنة بعشر أمثالها بستين يوم كم تصير سنة كاملة عشر أشهر مع ستين يوم وإذا بها سنة، هذا معنى حديث أبي أيوب "من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر" هذا من فضل الله.

ولكن عباد الله إن هذا الشهر الكريم وكذا غيره من الشهور وكذا غيره من الأعمال لا بد من ملحوظ آخر وهو أن الإنسان يعالج نيته وقصده في الأعمال الصالحة، لا يقول قولاً ولا يعمل عملاً إلا وهو يرجو من ذلك رضى ربه سبحانه وتعالى، وهذه النوايا والمقاصد التي يتفاوت الناس بها وابتلي عباد الله عزّ وجلّ بذلك فبتفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك : ١ – ٢]

قال فضيل بن عياض في تفسير { أَحْسَنُ عَمَلاً} : أخلصه وأصوبه. قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لا يقبل، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لا يقبل"

هذان شرطان للعمل وهو معالجة النيّة وفحص الطويّة والمقصد أن يكون لله سبحانه وتعالى ليس لأحد فيه شائبة ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عزّ وجلّ: قال "يضع طعامه وشرابه من أجلي" هذا الذي صومه بأعلى المراتب الذي يضع طعامه وشرابه من أجل الله، وإلا فتارك الطعام والشراب كثير من الناس منهم من يترك الطعام والشراب اليوم والأكثر من الأيام حمية وما سيمى بردين وتعالجاً وما إلى ذلك إلا شيء يسير، ولكن هذا بغير نية ليس هو بنافع كما ينتفع الإنسان بالصوم لمرضات الله سبحانه وتعالى من أجل الله سبحانه.

هذا وقد دل حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المعنى ففي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » و «مَنْ قَامَ لَيلة القَدرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، والملحوظ من هذا الحديث هو لفظة «إِيمَانًا واحْتِسَابًا» فإن هذا هو مناطق قبول العمل وهو الإيمان بالله عزّ وجلّ وأداء واجباته وفرائضه وما أمر الله عزّ وجلّ به أمراً جازماً أو غير جازماً، وإن كان أمراً جازماً كالصيام يكون إيماناً بوجوبه، وإن كان أمراً غير جازماً كالقيام يكون إيماناً بفضيلته واستحبابه، فيأدي ذلك إيماناً وابتغاء الأجر عند الله عزّ وجلّ واحتساب هذا العمل عنده، ومعنى «واحْتِسَابًا» أنه يعتد بهذا العمل عند ربه لا يريد جزاءاً ولا شكوراً إلا منه اليوم القيامة، هذا معنى " واحْتِسَابًا ".

علم بهذا ولله الحمد أن فضيلة شهر رمضان منوطة بأمر مهم وهو الإخلاص والمتابعة، وموضوع تحادثنا في هذا الوقت القصير هو حول الأول من ذلك حول الإخلاص فإن الإخلاص عليه مبنى الدين وأساسه قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً * قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١١٠]

وإذا اختل الإخلاص في أي عمل من الأعمال كان ذلك العمل من ضمن أعمال الشركية سواء كانت داخلة في خطم الشرك الأكبر أو الأصغر، لما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي ربه عزّ وجلّ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي في غيري تركته وشركه" والله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ١٨ – ٢٠]، فلا يشكر إلا سعي من قصد بذلك السعي وجه الله عزّ وجلّ {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ} أي قصدها ونوى العمل لله عزّ وجلّ من أجلها {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} هذا سعي عظيم والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] الشاهد من هذا كله أن الأعمال الآخرة تحتاج

إلى تصحيح المقاصد فيها والنوايا إليها لهذا دل حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن الإخلاص يعتبر تنقية ويعتبر تزكية للقلوب تصفية لها فمن وفقه الله لهذا المعنى فإن هذا ينقي قلبه ويصفي قلبه وصدره من الغل والدغل، وهذه منقبة عظيم وفضل عظيم جداً، كم من القلوب من العظائم والجرائم؟؟ لا يعلمها إلا الله ولا تنكشف إلا يوم القيامة انكشافاً كلياً، ربما يخرج من آثار ما في الصدرو على اللسان وعلى الوجوه لكن هناك أشياء لا يعلمها إلا الله: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العَادِيَات: ٩ – ١١]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [يُونُس: ٣٠]، {تَبْلُو} أي: تختبر، فهذه الأمور التي في القلوب لا يعلمها إلا الله، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمْرَان: ٣٠] الشاهد من ذلك هذا الذي في القلوب مما يذهبه الإخلاص إذا صفي إخلاصك وعملك لله عزّ وجلّ صفّا جميع الشوائب ما تحصل في الصدور بإذن الله عزّ وجلّ دل على ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٨٢] ودل على ذلك حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أحمد في مسنده بسند صحيح أن النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرءٍ مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها

فأدّاءها كما سمعها رب مبلغ أوعا له من سامعٍ ورب حامل فقه ليس بفقيه ورب حمال فقه إلى من هو أفقه منه» وهذا الحديث العظيم له أيضاً تتمة ومنها من جعل الدنيا همه فرّق الله عليه شمله وجعل فقْره بين عينه ولم يأتيه من الدينا إلا ما كتب له ومن جعل الآخرة نيته جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة" ما أعظم هذا الحديث ولهذا أكثر من طرقه إمام ابن عبد البر في جامعه [جامع البيان العلم وفضله] وهو من الأحاديث المتواترة جاء عن عدد من الصحابة نحو أربع وعشرين أو أكثر من ذلك وأصح ما في الباب حديث زيد بن ثابت وابن مسعود ويعني ما كان من هذا جملة أحاديث نحو خمس منها طرق أصح ما في الباب ذكرها العلائي في [جامع التحصيل] وهذا الحديث شاهدنا منه هو قول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم " وفي لفظ " مؤمن ".

قال ابن قيم رحمه الله وغيره من الشراح وكلام ابن قيم في مفتاح دار السعادة:

قال: معنى " لا يغل عليه قلب امرءٍ مسلم" أي لا يحمل الغل إذا توفرت ووجدت فيه هذه الثلاث لا يحمل الغل، الأولى منها الإخلاص العمل لله التي هي أساسها وأساس سائر الأعمال، الثانية: مناصحة ولي الأمر، الثالثة: لزوم جماعة المسلمين، فمن كان فيه ذلك وهو الإخلاص لله طهّر الله عزّ وجلّ قلبه مما يكون في القلوب مما لا يعلمه إلا الله ولا يحصل غل في قلبه مادام وجود ذلك فيه هذا أمر مهم أن يحرص عليه كل مسلم تزكيةً لقلبه وتصفية له، فإنه إذا صفا وأعني من تلك الأمور وسار كما دل عليه حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لا تضره فتنة ما دامت السماء والأرض» ربح كثيراً مدار حياته وجسده وسائره على قلبه لما في الصحيحين عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسدِ مُضْغَةً إِذَا

صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»، فهذا الذي بمنسبة الملك صلاحه وفساده إما بطاعة الله وإما بمعصيته وأعظم ما تصلح القلبك هذه الأمور الثلاث، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولي الأمر مناصحة بغير فتنة، فالمناصحة لا تقتضي الثورة ولا تقتضي الفتنة ولا تقتضي التشنيع ولا تقتضي تثوير ولا تقتضي البغض، وإنما تقتضي أنه إن حصل منه ما يتطلب النصح وذلك حاصل أنه ينصح عملاً بقول النبي ﷺ : الدين النصحية " الحديث.

إن أمر الإخلاص عباد الله سواء كان الصيام أو في غيره هو الدين كله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة : ٥]، فالملة القية مبنية على هذه الأمور { دِينُ الْقَيِّمَةِ} أي الملة القيمة، هذا هو الدين القيمة عبادة الله سبحانه وتعالى بإخلاص وعبادة الله عزّ وجلّ بإقبال عليه وإعراض عما سواه {حُنَفَاء} أي مقبلين عليه معرضين عما سواه هذا يشمل توكل على الله والإعتماد عليه، والثقة به، والإيمان بقدره وقضائه، وهكذا بوعده ووعيده، وهكذا بما نزلت به كتبه وأرسلت به رسله، يشمل جميع دين الله عزّ وجلّ، دين القيمة أن تعبد الله عزّ وجلّ على ما ذكر في هذه الأدلة بإخلاص { مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، {حُنَفَاء} أي مقبلين عليه معرضين عما سواه من الشركيات والبدع والخرافات، {وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

ونظير ذلك ما يبينه على أنّ هذا هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله فجميع الرسل دعو إلى هذا القصد قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ

لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١١ – ١٥] وقال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

هذا الإخلاص عظيم جداً، من فوائده وثماره خير الدينا والآخرة ومن ذلك الفرج من الشدائد، فإن من كان مخلصاً لله عزّ وجلّ يصير مجاب الدعاء بإذن الله ،ومن كان مخلصاً لله عزّ وجلّ فإن ذلك الإخلاص ينفعه عند الشدائد وغيرها لهذه الآية، ونظيرها قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] حتى وإن كانوا مشركين وحصل لهم الإخلاص عاملهم الله في ذلك الحال على حسب إخلاصهم، فإذا أشركوا ذلك يعاملهم الله عزّ وجلّ على شركهم، فالإخلاص نافع عند الأزمات والشدائد، ويوضح ذلك أكثر حديث ابن عمر وجاء عن غيره الحديث عن ابن عمر متفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان «فيمن كان قبلكم ثلاثة انطلقوا فأواهم المبيت إلى غار فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صخْرَةٌ من الجبل فصدت عليهم الغار قَالوا: لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا بخالص أعمالكم» فكل واحد هنا ينظر فيما من كان من الأعمال الخالص لله عز وجل ابتغاء وجه ويدع الله بها؛ ويا نعم الفتوى التي حصلوا عليها من هذا المفتي لهم فدعى أحدهم قال «اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ، شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لا أقدم قبلهما أهلاً ولا مالاً

فنآى بي يوماً طلب الشجر فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت وأتيت وقد ناما فلبثت وقدح على يدي أنتظر استقاظهما حتى برق الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ عند قَدمي يَتَضَاغَوْنَ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، انْفرجت الصخرة شيئاً لا يستطيعون الخروج» ولكن بهذا العمل الصالح الخالص يأتيهم الهواء وحصل فرج عظيم.

الفرج الذي يليه قال أحدهما «اللهُمَّ إنك تعلم أني استأْجَرت أجْراء أعطيت كل واحد منهم أجره إلا واحد منهم ترك أجره وذهب فنمّيت له أجره حتى كثر منه الأبل والبقر والغنم والرقيق فجاءني بعد حين فقال أدء إلي أجري قلت: كل ما ترى من أجرك قال: لا تسْتهزِء بي فقلت لا استهزء بك، فساقه كله إِنْ كُنْتَ فَعَلتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ انفرجت الصخرة شيئاً غير أنهم لا يستطيعون الخروج».

وقال الثالث «اللَّهُمَّ كانتَ ابنَة عَمٍّ أُحِبُها، أَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ فَأَرَدتُّها عَلى نَفْسِهَا يوماً فألمت بها سنة من السنين" أي جوع وشدة "فأعطيتها عشرين ومَائَةَ دِينَارٍ عَلى أَنْ تُخَلِي بَيْني وبَيْنهَا حَتَى إذَا جَلَسْتُ مِنهَا مجْلِس الرجل من امرأته» الحديث له ألفاظ قال «قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ، وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِهِ» ذكّرته بالله عزّ وجلّ فذكر الله وقام عنها وترك المال لها، كل ذلك ابتغاء وجه الله، توسل إلى ربه بهذا العمل الخالص قال «اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»

فيا أخي في الله أيها المسلم اعلم أن إخلاصك لله يعتبر فرجاً عظيماً لك في سائر الأزمات والشدائد والمضايق، تدعو الله عزّ وجلّ ويجيبك، تسأل الله عزّ وجلّ يعطيك تلح على ربك يسمعك أنت فقير ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ

يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [فَاطِر: ١٥-١٦] أنت تصيبك اللأواء وتصيبك الأسقام والأمراض والإبتلاءات والشدائد والعظائم، ويتسلط عليك ربما الأعداء ليس لذلك كاشف إلا رب العالمين فادع ربك مضطراً إليه لاجأً إليه بعملك الصالح الخالص لله عزّ وجلّ تفلح وتستفيد ويجيبك الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحَجّ: ٣٨] ومن كان هذا حاله وينطبق عليه حديث أبي هريرة القدسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك الحديث قال الله عزّ وجلّ: «وما تَقرب إليَّ عَبدِي بِشيء أُحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببت كنت سمعه الذي يسمعه به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولإن سألني لأعطينّه ولإن استعاذني لأعيذنه» وهذا يدل أنه لا يتحقق ذلك إلا أن يكون العمل مقبولاً متقرباً به إلى الله عزّ وجلّ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صواباً وابتغي به وجه الله، فمن كان هذا حاله مجاب الدعاء نعم.

من فضيلة هذا الأمر المهم وعلاج النفس عليه واصلاحها عليه وتقويمها عليه ومحاسبتها من أجله ألا وهو الإخلاص لله عزّ وجلّ أن الله يدفع عنك الشيطان به والشيطان لا سبيل له عليك وإن حصل لك منه أذى يدفعه الله عزّ وجلّ عنك ، نعم يحصل من الشيطان الأذى وتحصل منه الفتن ولكن المخلص ليس له عليه سلطان فإن الله عزّ وجلّ جعل المخلِصين مخلَصين فلا يكون مخلَصاً صافياً الله عزّ وجلّ يرضى عنه إلا وقد توفر به جانب الإخلاص فيقال مخلِص ومخلَص قال الله سبحانه وتعالى عن الشيطان قال: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [صٓ: ٨٢ – ٨٣] في سورة الحجر ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي

الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٠] وفتزيين في الأرض والإغواء في حق المخلَص بإذن الله عزّ وجلّ ينجو منه يصير زاهداً، وإن رأيت إنساناً متقياً لله عزّ وجلّ زاهداً في الدنيا بعيداً عن الأهواء فاعلم أن هذا قلبه فيه خير من الإخلاص ونيته طيبة لله سبحانه وتعالى وهو بعيد عن الرياء والسمعة والإعجاب والسهو والكبر وما إلى ذلك مما هو من الأمراض القلوب.

فهذا وعد من الله عزّ وجلّ أن الله نجّى من هذا العدو اللدود المخلَصين وأن المخلَصين أنهم لا سلطان له عليهم ولا يعني ذلك أنهم يعصمون منه من جميع الجوانب ولا يؤذيهم فإن الأذى قد يحصل للمؤمن من أهله وماله وقريبه ومن سائر أعدائه "يُبتلى المرء على قدر دينه فإن كان في دينه شدة شدد عليه وإن كان في دينه رقة خفف عنه" هكذا أخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ثبت في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ابتلاء حاصل من الشيطان ومن سائر الأعداء إلا أنه لا يضره بما يهلك ويوبقه في عذاب الله هو من الناجين بإخلاصه، هذه فائدة عظيمة.

ومن ذلك من ثمار هذا الإخلاص زينته في القلب قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] فحب الإيمان وزينة الإيمان في القلب مدار ذلك كله على ما دل عليه حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه «ثَلاثٌ لا يَغلُّ عَلَيهِن قَلْب امرءٍ مُسْلم» أي يكون نقيّاً نظيفاً مزينًا بالإيمان هذا يدل لك أن القلب قد يكون مزينًا وقد يكون مشوهاً، فتشويهه بعدم الإخلاص حتى يصير كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا

لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا التراكم الفتن عليه، وتنقيته وتنزيهه بالإخلاص على ما دلت عليه هذه الأدلة.

وهكذا من هذه المعاني أن الخيرية مناطها كلها الإخلاص قال رب العزة: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّسَاءِ : ١١٤] أهذا يكفي؟ أبداً، لا بد فيه من شرط لازم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءِ : ١١٤] لا بد أن يكون هذا العمل، المصلحون بين الناس كثير والذين يحثون على الصدقات كثير والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كثير ولكن مناط هذا العمل وغيره من الأعمال على ما ذكر هذه الآية { وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ومفهوم هذا الآية ومن أدلة الأخرى أن من لم يفعل ذلك ابتغاء وجه الله مرضاة الله لا أجر له "تركته وشركه" الحديث.

وهكذا فوائد هذا العمل على أن الإنسان يتفاوت مع الآخرى ولو كان في جانبه، المصلي يصلي والصائم يصوم والقائم يقوم والمتصدق يتصدق من سائر الناس ولكن يتفاوتون كما بين السماء والأرض وذلك على حسب النوايا وعلى حسب الإخلاص فإذا قام الإخلاص في الصدر وفي القلب قياماً صحيحاً فإن هذا كل ما كان من الأعمال تتلاشا بجانبه بإذن الله عزّ وجلّ : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يُونُسَ : ٨٢]

إن من أخلص أعمله لله اشترى نفسه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البَقَرَة : ٢٠٧] ولاحظ كلمة { ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} يشتريها ينقذها من عذاب الله بإخلاصه ومتابعته.

ومن هذا الباب حديث جابر وكعب بن عجرة وأوضح من ذلك حديث حارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» حسب الإخلاص، ومزيد في الحديث أيضاً " كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو " الناس كلهم يغدوا برهم وفاجرهم لكن منهم من يغدوا مخلصاً في طاعة الله وعابداً له فينقذ نفسه من عذاب الله، ومنهم من يغدوا في معصية الله غير مخلصاً في عمله فيوبق نفسه في عذاب الله نعم «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» يا كعب بن عجرة "الناس غاديان"، على هذا المعنى يكون الإنسان إذا صحح نيته استفاد المباحات طاعات، ومن لم يصحح نيته وقصده وإخلاصه قلب الطاعات شبه مباحات أو محرامات وعلى حسب نواياه وريائه وإعجابه «من سمّع سمّع الله بِه، ومن يُارء يارء الله به» ربما يقرأ القرآن وقراءة القرآن عبادة، أو كذلك يصلي ويصوم أو كذلك يحج ويقوم أو كذلك يتصدق ويأمر المعروف وينهى عن المنكر وما إلى ذلك من الأمور، إن اختل جانب الإخلاص فداخلها التسميع لقصده أن يسمع الناس ما يقول فيحمدونه على ذلك أو يراه الناس فيحمدونه على ذلك ذهب عمله صداً ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ [البَقَرَة : ٢٣] كسائر أعمال المشركين ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام : ٨٨] نعم

فلا يستفيد أحد من عمله إلا بهذا الأمر المهم علاج القلب وتقويم القلب على العمل الصالح لله سبحانه وتعالى.

أيها الناس إن أمر الإخلاص هو دعوة الرسل واقرأ سورة الشعراء القرآن كله على ذلك دال ولكن المنصوف من ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٩] لا يريد منهم أجراً يريد أجره من الله سبحانه وتعالى وهذا قمة الإخلاص.

وهكذا: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٧] الآيات ويذكرهم بمعاصيهم ويخبرهم أنه لا يريد منهم جزاءً ولا شكورًا ولا أجراً على دعوته، فإن من ابتغاء على دعوته أجراً من الناس يقلونه ويزهدون في دعوته ولهذا كانت دعوة المرسلين أنزه الدعوات أنزه ما يكون عن أن يسأل الناس أموالهم: ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦ – ٣٧] ولنا برسل الله أسوة في هذا الشأن وغيره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]

ونبي الله صالح عليه الصلاة والسلام قال الله عزّ وجلّ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [الشعراء: ١٤١-١٤٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ *

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٤] وهكذا ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦ – ١٨٠]

وأنا أذكر هذه الآيات من هدي الأنبياء قصداً ليعلم الداعي إلى الله أن هذا قدوته، أنه لا يسأل الناس أجراً على دعوته، وإذا فهموا منه هذا المعنى عسى أن يقبلوا منه، أما إن كان يسألهم أموالهم فهذا مناط فساد الدعوات وهذا سرطانها، إن كانت دعوته لقصد الدنيا قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦] وأدلة في هذا الباب كثير ومن هذا **قول ابن سيرين**: «إن هَذا العِلمَ دِينٌ فَانظُروا عَنْ مَنْ تَأخُذُونَ دِينَكُم».

اعلم أيها الداعي إلى الله وأيها المسلم أن حصنك الحصين إن شاء الله عزّ وجلّ هو إخلاصك وتوكلك على الله عزّ وجلّ وثباتك على دين الله حق هذا هو ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] فالله غنيٌ عنك وإنما يناله إخلاصك عملك لله عزّ وجلّ هذا الذي يصل سواء في ذلك النفقة أو الذبائح أو الاتباع الجنائز أو سائر الأعمال مما يطول ذكره من سائر دين الله يجمعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعْمَالُ

بِالنِيات وإنما لِكُل امرءٍ مَا نَوَى فَمَن كَانَت هِجرته إلى اللهِ وَرسُولهِ فَهجرته إلى اللهِ ورسُولهِ وَمَن كَانَت هِجرَته إلى دُنْيَا يُصِيبُها أو امرَأة يَنْكِحُهَا فَهِجرتُه إلى مَا هَاجَر إليْهِ».

وانظر إلى الإخلاص كيف يجعل المباحات طاعات كما أن الطاعات تنقلب إلى مباحات كما تقد مثاله في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال حين مرض بمكة «يَا رَسُول الله إني ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي قَالَ: لاَ فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ فَقَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ: الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهَا دَرَجَةً وَرِفْعَةً حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» الطعام الذي تأتي "به إلى امرأتك التي واجب عليك نفقة عليها، يا سول الله ما حق امرأة أحدنا عليه قال: أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضر وجهها وتقبح" حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صحيح، هذا الطعام تأتيها به وتحتسبه يصير هذا المباح تأكله أنت وأهلك أجراً، إتيانك لأهلك وعشرتك لأهلك تعتبر من أجورك "قال يا رسول الله أيضع أحدنا شهوته وله أجر قال: نعم، أرأيت إذا وضعها في حرام أعليه وزرٌ؟، كذلك إذا وضعها في حلال عليه أجرٌ " وفي صحيح مسلم من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "إذا أنفق الرجل نفقة على أهله يحتسبها فهي له صدقة" نفقة يحتسبها فهي له صدقة وهكذا أعمال كثيرة من المباحات إذا احتسبها الإنسان وأخلص نيته فيها لله عزّ وجلّ صارت أجوراً.

لما كانت أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ باليمن أتاه معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت بينهما تزاور ومذاكرة فأحدهما في مخلاف والأخر في مخلاف آخر ولكن كان بينهما تزاورٌ ومذاكرة قال له كيف تقرأ

القرآن؟ قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتفوق تفوقاً، وقال وأنت كيف تصنع قال أقرأ كذا وكذا وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" أي أحتسب وقت نومي وأنوي به تقوي على طاعة الله عزّ وجلّ وأخذ الراحة، هذه هي النية الصحيحة التي يكون نومه في ذلك يصب في مصب حسنات وفي ميزان حسنات كما يحتسب قومته وسائر عمله كل ذلك في طاعة الله سبحانه.

ومما أوصى به الإمام أحمد ولده أنه يقَوّم نيته ويصلح نيته.

فأوصي نفسي وأخواني المسلمين وفقهم الله بما دلت عليه هذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صيام هذا الشهر وفي غيره «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

أسأل الله العظيم أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه.

والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله

فُرّغتْ هذه المادة ليلة الإثنين

٢٣ – شعبان – ١٤٣٤ هـ